

التطرف الديني ومسألة الأمن الاجتماعي

أ. أحمد عبد اللطيف شتوح

جامعة الأغواط - الجزائر

تمهيد

قيل " نعمتان عظيمتان لا يشعر الإنسان بقيمتيهما إلا إذا فقدهما ؛ وهما الصحة في الأبدان والأمن في الأوطان. وقد حدد الماوردي قواعد صلاح الدنيا وانتظام عمراتها، وهي عنده ستة أشياء: دين متبع، وسلطان قاهر ، دولة قوية ، وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح ؛ فقد جعل الماوردي " الأمن العام " القاعدة الرابعة من قواعد صلاح الدنيا وانتظام العمران، وعن هذه القاعدة يقول: أمن عام تطمئن إليه النفوس، وتنتشر به الهمم، ويسكن فيه البرىء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وقد قال بعض الحكماء: الأمن أننا نعيش، والعدل أقوى جيش، لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم، وانتظام جملتهم ...

والأمن المطلق ما عَمَّ، والخوف قد يتنوع تارة ويعم، فتتنوعه بأن يكون تارة على النفس، وتارة على الأهل، وتارة على المال، وعمومه أن يستوجب جميع الأحوال.⁽¹⁾ فالأمن إذا هو مطلب أساسي ملح يتطلع إليه الفرد والمجتمع، ويتطلب من الدول والحكومات والأنظمة العديد من الجهود المميزة لتحقيقه سواء على مستوى الأسرة أو المجتمع المحلي أو المجتمع الدولي ؛ لأنه ركيزة أساسية لاستقرار الحياة البشرية. فظاهرة

(1) الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1987، ص 119.

الإرهاب والتطرف الديني من الظواهر التي تعصف بالأمن الاجتماعي الذي يعتبر ركيزة أساسية في تنمية الأفراد والمجتمعات..

وقد جاءت هذه الورقة لتبحث في أهم الأبعاد والعوامل المختلفة المنتجة لظاهرة التطرف الديني، من خلال طرح مجموعة من الأسئلة لنجيب عليها:

- ما هو مفهوم التطرف الديني، وما هي أسبابه ومظاهره؟
- ما مفهوم الأمن الاجتماعي، وما هي أبعاده ومقوماته؟
- ما هي الأطر المعرفية التي تنتج ظاهرة التطرف الديني؟

أولاً- الاقتراب المفاهيمي:

اختلف العلماء والباحثون في تحديد مفهوم التطرف نظراً للاعتبارات إيديولوجية من جهة، وتداخل الجوانب النفسية والاجتماعية والسياسية، وحتى الاقتصادية، ونظراً لعمق ظاهرة التطرف فقد تواترت المفاهيم والمصطلحات والدراسات التي تناولت المصطلح بالشرح والتحديد، و سوف نعرض هذا المفهوم على النحو التالي:

- المفهوم العام للتطرف:

يختلف التدين عن التطرف، فتدين يعني الالتزام بأحكام الدين والسير على منهاجه وهو أمر مطلوب ومرغوب فيه، ومحمود عند الله وعند الناس، ويعود بالخير والفلاح على أصحابه والمجتمع، وبهذا يكون التدين ظاهرة ايجابية طالما ظل في إطار الفهم الصحيح السديد والتمسك الرشيد بالتعاليم الدينية والقيم الأخلاقية، مما يستوجب أن يؤيد ويدعم فلا يناهض ولا يطارد.

أما التطرف فإعني الإغراق الشديد في الأخذ بالظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها وسوء فهم لها ، قد يصل بالمرء إلى درجة الغلو والمنكر في الدين.⁽¹⁾ كما أن التطرف يعني تجاوز حد الاعتدال وعدم التوسط؛ هو الفعل المخالف للشرعية.

و يعرف التطرف من المنظور النفسي والاجتماعي، بأنه " انتهاك للقيم الاجتماعية والسياسية القائمة، ويتدرج هذا الانتهاك من مجرد الخروج عن الفكر و الأيدلوجية السائدة إلى صورة أكثر تجسيدا كما في أعمال العنف التي تمارسها الجماعات المتطرفة."⁽²⁾.

وفي تعريف آخر للتطرف ، أنه " أسلوب مغلق في التفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة أو التسامح معها، ويتسم هذا الأسلوب بنظرة إلى المعتقد تقوم على " أن المعتقد صادق صدقاً مطلقاً و أبدياً ، يصلح لكل زمان ومكان، - المعتقد الصحيح المبني على الكتاب والسنة بفهم صحيح يصلح لكل زمان ومكان- لا مجال لمناقشته ولا للبحث عن أدلة تؤكده أو تنفيه، على إدانة كل اختلاف عن المعتقد، وفرض المعتقد على الآخرين بالقوة والرجوع إلى المعتقد عند تفسير أي قضية في الكون، ومواجهة الاختلاف في الرأي أو التفسير بالعنف."⁽³⁾

(1) حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1997، ص15.

(2) عاطف أحمد فؤاد ، الحرية والفكر السياسي المصري ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، 1988، ص 84

(3) سمير أحمد نعيم ، محددات التطرف الديني في مصر ، مجلة المستقبل العربي ، القاهرة ، العدد (130) ، 1990 ، ص 111 .

التطرف الديني:

روى ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال غداة العقبة (أيها الناس إياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين). ⁽¹⁾ بل إن من أسباب ضلال النصارى التنطع في الدين، فابتدعوا الرهبانية التي جاؤوا بها من قبل أنفسهم، وهي : غلوهم في العبادة وحمل المشاق على أنفسهم في الامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح ، والتعبد في الجبال قال الله تعالى في وصفها ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ ⁽²⁾

وفي هذا يبين الرسول ﷺ بأن الدين مبني على اليسر وكان يقول لأصحابه حين يبعثهم (يسروا ولا تعسروا). وكما قال ابن تيمية رحمه الله (الحنيفية ضد الشرك والسماحة ضد الحجر والتضييق). ⁽³⁾

فالتطرف في الإسلام يعني الخروج عن الوسطية، مما يؤدي في أبسط حالته إلى التشدد والغلو و الإرهاب والممارسات السيئة التي لا تتفق مع المتعارف عليه دينياً واجتماعياً .

- مفهوم الأمن الاجتماعي :

تحديد ماهية الأمن الاجتماعي وحدوده تبرز العديد من التداخلات بين الأمن الوطني والأمن الإنساني والأمن الاجتماعي، لكنها تلتقي حول مبدأ الضرورة والحاجة من حيث التكامل، وتتوزع في حقول دراسية بين علم الاجتماع والعلوم السياسية لتأخذ

(1) رواه النسائي، كتاب المناسك، رقم الحديث 268 .

(2) سورة الحديد آية (26).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، طباعة ورثت عبد الرحمان بن محمد القاسم، الرياض، ص 114.

طريقها إلى التماس مع الدراسات الإستراتيجية والاقتصادية لارتباطها بحياة الإنسان وتعدد حاجاته.

- الأمن لغة:

الأمن من آمن يأمن أمناً؛ فهو آمن، وآمن أمناً وأماناً، اطمأن ولم يخف، فهو آمن وأمن وأمين، والأمن يعني الاستقرار والاطمئنان، نقول: أمن منه أي سلم منه، وأمن على ماله عند فلان أي جعله في ضمانه، والأمان والأمانة بمعنى واحد، فالأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة، والمأمن الموضع الآمن⁽¹⁾.

- الأمن اصطلاحاً:

عرّف الجرجاني الأمن بأنه: "عدم توقع مكروه في الزمان الآتي"⁽²⁾، ويعرفه محمد عمارة بأنه أمنٌ عامٌ مطلق اجتماعي يحقق طمأنينة النفوس.. وتنتشر به الهمم وتنمو به الملكات والطاقات.. لأن الخوف - وهو نقيض الأمن -⁽³⁾.

عرفنا المقصود بالأمن في اللغة و الاصطلاح، وهنا لا بد من الوقوف عند مصطلح " الاجتماعي " حتى نستطيع تحديد مفهوم الأمن الاجتماعي.

يعرّف معجم العلوم الاجتماعية مصطلح " الاجتماعي " بقوله : هو وصف للسلوك أو المواقف نحو الآخرين وهو يعني المواقف التي فيها تأثير متبادل بين فرقاء تربطهم روابط وعلاقات.⁽⁴⁾ كما عرفه عالم الاجتماع إحسان محمد الحسن بقوله: " "

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، 2000م، ج1، ص163.

(2) الجرجاني الشريف علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1988، ص37.

(3) محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1418هـ - 1998م، ص15.

(4) منير البعلبكي، المورد الميسر، ط2، بيروت، دار العلم للملايين، 1979، ص176.

سلامة الأفراد والجماعات من الأخطار الداخلية والخارجية التي قد تتحداهم كالأخطار العسكرية وما يتعرض له الأفراد والجماعات من القتل والاختطاف والاعتداء على الممتلكات بالتخريب أو السرقة .

ويبدو للباحثين أن هناك تلازم ما بين لفظ " الأمن " ولفظ " الاجتماعي " ذلك لأن الأمن في فلسفة التشريع الإسلامي لا يكون إلا اجتماعياً ، ويستحيل أن تقف حدوده عند حدود الفرد دون الاجتماع الشامل للأفراد ضمن الجماعة ، إذ الإسلام دين الجماعة ، وفلسفته التشريعية جمعت بين المسؤولية الفردية والمسؤولية الجماعية بحيث لا تتوغل واحدة على الأخرى ، وعليه فإن أي اختلال في الأمن الاجتماعي يترتب عليه زوال أمن الفرد، وقد عبّر الماوردي عن هذه الحقيقة عندما اشترط لصالح الدنيا انتظام أمور جملتها ، وانتظام ما يصلح به كل واحد من أهلها ، لأنه لا صلاح لأحدهما إلا بصاحبه .

وتأسيساً على ذلك فإننا نرى أن التعريفات السابقة لمصطلح الأمن تعبر تعبيراً وافياً عن مصطلح الأمن الاجتماعي بمفهومه الشامل، وبعد أن كان مدلول المصطلح منحصرًا في جانب الأمن المضاد للخوف والفرع، فإن هذا المصطلح اتسع ليشمل مفاهيم ومضامين متعددة وجديدة ، تتداخل مع مجمل أوضاع الحياة ليشمل الإصلاح الاجتماعي والسياسي، وتحقيق العدل والمساواة والحرية ، والكفاية الاقتصادية وغيرها من القضايا الملحة ذات العلاقة التي يحتاج إليها الفرد في حياته اليومية.

ومن هنا فإن مفاهيم الأمن الاجتماعي تدور حول توفير حالة الأمن والاستقرار والطمأنينة في المجتمع بحيث يستطيع الأفراد التفرغ للأعمال الاعتيادية التي يقومون بها، وفي حالة غياب الأمن فإن المجتمع يكون في حالة شلل وتوقف، فالإنتاج والإبداع يزدهران في حالة السلام والاستقرار.

ثانيا - أبعاد الأمن الاجتماعي ومقوماته :

يعد البعد الاعتقادي، أهم أبعاد وأساسيات الأمن الاجتماعي وذلك من خلال احترام المعتقد الديني بصفته العنصر الأساسي في وحدة الأمة التي تدين بالإسلام وتتوحد مشاعرها باتجاهه ، مع مراعاة حرية الأقليات في اعتقادها ، كما أن هذا البعد يتطلب احترام الفكر والإبداع ، والحفاظ على العادات الحميدة والتقاليد الموروثة بالإضافة إلى القيم التي استقرت في الوجدان الجمعي، ودرج الناس على الإيمان بها شريطة أن لا تتعارض ومنهج النبوة .

البعد السياسي ، والذي يتمثل في الحفاظ على الكيان السياسي للدولة ، وحماية المصالح العليا، واحترام الرموز الوطنية والثوابت التي أجمع عليها غالبية أفراد المجتمع، وعدم اللجوء إلى طلب الرعاية من جهات أجنبية أو العمل وفق أجندة غير وطنية مهما كانت المبررات والذرائع ، وممارسة التعبير وفق القوانين والأنظمة التي تكفل ذلك ، وبالوسائل السلمية التي تأخذ بالحسبان أمن الوطن واستقراره .

البعد الاقتصادي ، والذي يهدف إلى توفير أسباب العيش الكريم وتلبية الاحتياجات الأساسية ورفع مستوى الخدمات ، مع العمل على تحسين ظروف المعيشة ، وخلق فرص عمل لمن هو في سن العمل، مع الأخذ بعين الاعتبار تطوير القدرات والمهارات من خلال برامج التعليم والتأهيل والتدريب وفتح المجال لممارسة العمل الحر في إطار التشريعات والقوانين القادرة على مواكبة روح العصر ومتطلبات الحياة الراهنة .

البعد الاجتماعي والذي يرمي إلى توفير الأمن للمواطنين بالقدر الذي يزيد من تنمية الشعور بالانتماء والولاء ، والعمل على زيادة قدرة مؤسسات التوجيه الوطني لبث الروح المعنوية ، وزيادة الإحساس الوطني بإنجازات الوطن واحترام تراثه الذي يمثل هويته

وانتماءه الحضاري واستغلال المناسبات الوطنية التي تساهم في تعميق الانتماء ، والعمل على تشجيع إنشاء مؤسسات المجتمع المدني لتمارس دورها في اكتشاف المواهب ، وتوجيه الطاقات ، وتعزيز فكرة العمل الطوعي لتكون هذه المؤسسات قادرة على النهوض بواجبها كدافع وداعم ومساند للجهد الرسمي في شتى المجالات .

ثالثاً- في سوسيولوجيا التطرف :

بالرغم من أهمية الاتجاه السيكلوجي في توضيح الشخصية وفهم مكوناتها وخصائصها وأسباب ونتائج تعرضها لبعض مظاهر عدم التوافق في علاقتها بالمجتمع، إلا أنه يمثل مدخلاً محدوداً في دراسة السلوك المتطرف نظراً لأنه يرجع السلوك إلى السمات الشخصية والمزاجية التي تمثل جانباً محدوداً بالنسبة لباقي العوامل الخارجية المرتبطة بالمجتمع والمؤثرة على شخصية الفرد واتجاهاته، والذي يعتبر نتاج لهذه العوامل ومرآة يعكس تأثيرها عليه، لذلك فإن هذا التفسير من الصعوبة بمكان الاعتماد عليه بمفرده في تفسير كلي لظاهرة التطرف داخل المجتمعات الإسلامية.

إن النظرية الاجتماعية أو الحضارية ترى أن اتجاهات التعصب والتطرف وعمليات توجيهها من الأمور المكتسبة، رغم أن الاستعداد للتطرف موجود في النفس البشرية كنتيجة للعوامل البيئية والاجتماعية، والتطرف كاتجاه نفسي تحدده معايير وقيم اجتماعية والتي يكتسبها الأفراد وينشئون عليها عن طريق بيئتهم ومجتمعهم ومعلمهم وكذا وسائل الإعلام وسائر عوامل التنشئة الاجتماعية، كما يؤكد ذلك (والف لينتن) أن الفرد لا يتعلم من الثقافة الخاصة بجماعته إلا ما هو ضروري لكي يلعب أدواراً محددة في بيئته الاجتماعية الخاصة، ومجتمعهم بصفة عامة وبهذا يحقق تكيفه واندماجه. ⁽¹⁾ والتطرف ينمو مع نمو الفرد في الحضارة التي تنتشر فيها هذه الظاهرة سواء كان هذا التطرف ديني

: **Histoire de l' Anthropologie**. Paris. Ed P.U.F. 2eme ed, 1971, P225.

(1) Mercier (paul)

أم عنصري، أم طبقي. والفرد يتعلم ذلك من خلال التفاعل مع أفراد مجتمعه فيأخذ أفكارهم و آراءهم وذلك بملاحظة مواقفهم وتوجهاتهم فيتشبع بالمعايير السائدة في الحضارة أو الثقافة التي يحياها. ⁽¹⁾ إذا فالتطرف مكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها عن قصد أو غير قصد؛ ويقوى التطرف عند الأفراد المتعصبين لمعايير الجماعة و التقاليد الحضارية السائدة في مجتمعهم. فالتطرف ينمو مع الفرد في المجتمع الذي تنتشر فيه ظاهرة التطرف. إن الحديث عن مظاهر التطرف يدعونا للحديث عن الاختلاف الذي يعتبر الدافع الرئيسي له، حيث أن الدراسات المتعلقة بصورة الآخر اهتمت بالاختلافات العرقية و الحضارية ولكنها لم تهتم كثيرا بالاختلافات العقائدية و الفكرية للآخر، الآخر الذي في نفس الوقت ينتمي إلى عرق أو مجتمع أو ثقافة واحدة. ⁽²⁾

ومن مظاهر التطرف و التعصب ما نشاهده اليوم بالأخص في العالم العربي و الإسلامي، التي نشهد فيها ظهور حركات و جماعات دينية تنتشر بسرعة حيث تحاول نشر إيديولوجيات دينية وتشكيل المجتمعات حسب مرجعيات مختلفة.

تركنا الرسول عليه الصلاة والسلام على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، ولكن أقواما سلكوا سبل الأمم السابقة ففترقوا في دينهم، وظهر ما يسمى بالخوارج وما يقابلها من بدعة الإرجاء، وبدعة الجبرية رد فعل لبدعة القدرية النفاة، ولقد صار هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يقابلون البدعة بالبدعة، فالشيعة غلوا في علي عليه السلام والخوارج كفروه، والخوارج غلوا في الوعيد - أيضا - حتى نفوا بعض الوعد، والمعتزلة غلوا في التنزيه حتى نفوا الصفات، والممثلة غلوا في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه.

(1) مرعي توفيق، بلقيس أحمد، الميسر في علم النفس الاجتماعي، عمان ، دار الفرقان، ط2، 1984، ص276.
(2) حيدر إبراهيم علي، صورة الآخر المختلف فكريا سوسيولوجيا الاختلاف والتعصب، مجلة نقد العدد 10، 1996، ص05.

وفي العصر الحديث امتلأت الساحة بالفرق والمذاهب والآراء، ولقد كان انتشار تلك الفرق مؤثراً في إحداث الغلو والتطرف، وأهم الاتجاهات العقدية المنحرفة التي كان لها أثر واضح في ظهور هذه المشكلة، وإذكاء آراء الغلاة وأقوالهم.

فالتصوف البدعي يميل إلى عزل الحياة عن الدين وهو بهذا له أثر في انحراف المجتمع المسلم، وأثار من جهة حفيظة بعض الشباب المسلم حيث اتجه إلى الغلو في ربط حياة الناس بالدين في مقابل تسبب المتصوفة الذين يفصلون بين حياة الناس ودينهم. وتطورت هذه المنازعات بين المتصوفة والمتهمين بالغلو إلى حد قيام مجموعات بالتسلل إلى بعض الأضرحة وإحراقها لما يرونه من انحرافات لم تغير ولم تنكر على أصحابها، وصار المتصوفة وأضرابهم يسوقون الكلام عن هذا الحدث في سياق كلامهم عن التطرف، وبغض النظر عن مشروعية العمل، فإنه يدل على أن بقاء هذا الفساد العقدي قد يثير ردود أفعال كثيرة.

أما الاتجاه الإرجائي حيث الأصل فيه اضطراب الناس في أمر علي وعثمان - رضي الله عنهما - فصار أقوام يقدمون أحدهما وآخرون يعكسون، فنشأ آخرون يرجئون هذا الأمر إلى الله تعالى ولكن هذا الإرجاء كان إرجاء في الحكم لا علاقة له بمسائل الإيمان والكفر؛ ثم نشأت المرجئة التي تزعم أن الإيمان هو مجرد التصديق، فالإيمان عندهم قول بلا عمل.

إن قيام أمور حياة الناس الدينية والدنيوية معتمد - بعد الله - على وجود الأمر الناهي المنظم لشؤون الأمة وأمورها. ومن كمال هذا الدين أنه ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، لأن من شأن ضبط هذه العلاقة انضباط أمور الأمة، وسيرها في حياتها على السواء. وعلى الإمام إقامة الدين والحكم بشريعة سيد المرسلين وإصلاح أمر المسلمين والرفق بهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الرعية السمع والطاعة وعليهما

التناصح والشورى قال رسول الله ﷺ {كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته} ⁽¹⁾ فمما لا شك فيه أن ظاهرة التطرف الديني والغلو واستخدام العنف وتكفير الحكام و المجتمعات بمختلف أشكالها وتجلياتها تشكل ظاهرة مرضية مهددة للأمن الاجتماعي، و من الأسباب الرئيسة أيضا في اختلال توازن المجتمع وتفككه الخروج عن الحكام، وقال عليه الصلاة والسلام: {من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني} ⁽²⁾.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: " لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم".

رابعا- مسلكيات التربية الدينية:

- البيئة الأسرية و التنشئة الدينية :

تعد الأسرة من أقوى المؤسسات و الجماعات الاجتماعية تأثيرا على أفرادها، فعلى الرغم من انتمائهم لمؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى داخل المجتمع (المدرسة ، المسجد، الجامعة...) إلا أنها تبقى دائما بالنسبة إليهم المرجعية و المؤسسة التي لا يفارقها الفرد حتى في حالات الانفصال عنها (تكوين أسرة جديدة مثلا...) ، إذ يرى

(¹) الإمام مسلم ،الإمارة ، رقم الحديث (1829).

(²) الإمام البخاري، الأحكام، رقم الحديث (6718).

علماء الاجتماع بأن الأسرة هي المجموعة الأصلية التي ينتمي إليها الفرد أو بتعبير آخر تمثل الانتماء الاجتماعي القاعدي.¹

من المهام الرئيسية المنوطة بالأسرة القيام بعملية التنشئة الاجتماعية المتمثلة في منظومة العمليات التي يعتمدها المجتمع من خلال بنياته في نقل ثقافته، بما تنطوي عليه هذه الثقافة من مفاهيم و قيم وعادات وتقاليد أفرادها، و هي بذلك تعمل على دمج الفرد في ثقافة المجتمع، ودمج ثقافة المجتمع في أعماق الفرد. و لما كانت ثقافة المجتمع بنية مركبة، فإن التنشئة الاجتماعية متعددة الجوانب و الأبعاد، و التنشئة الدينية هي إحدى أوجهها التي تحدث على مستوى الأسرة، فهي التنشئة التي تعنى ببث الوعي الديني و التشجيع على الالتزام بالشعائر الدينية، كما يمكن تعريف التنشئة الدينية على أنها العملية التي يتم بواسطتها نقل نمط التدين الموجود في المجتمع من جيل الكبار إلى جيل الصغار للحفاظ على استمراريته و ديمومته.

لقد أولت الديانة الإسلامية أهمية كبرى للتنشئة الدينية التي تحدث على مستوى الأسرة، فالوسط الأسري يعمل على توجيه النزعة الدينية لدى أفرادها، خاصة في المراحل الأولى من حياتهم، وهذا مصداقا لقوله صلى الله عليه و سلم : "ما من ولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". ففي الوقت الذي عمل فيه الإسلام على استبدال الولاء القبلي بالولاء الديني، وجعل أفراد المجتمع يعيشون تحت راية الدين، وأصبح بذلك، أي الدين أقوى الروابط الاجتماعية، ونبذ كل أشكال تعصب للقراية الدموية و القبلية، أكد في الوقت ذاته على أهمية الولاء للأسرة وحث على الطاعة

¹ Claud Dubar, **la socialisation construction des identités sociales et professionnelles**, Armand Colin, Paris, 2^{ème} Edition, 1998, P45

والانصياع، "فالأفراد يرثون دينهم و ينشئون على تعاليمه في العائلة، وإن الكثير من التصورات والمفاهيم والممارسات الدينية مستمدة من الحياة العائلية."¹

تعمل الأسرة في المجتمعات العربية الإسلامية على نقل تراث ثقافي لأفرادها ضمن سلوكيات، و ممارسات يعتقد أفراد هذه المجتمعات أنها من الدين كالاعتقاد في الصلحاء و زيارة الأضرحة....، والانضمام للحركات الإسلامية سواء الحزبية السياسية أو التبليغية و الجهادية بحكم الانتماءات العائلية، و هذا ما أكدته الكثير من الدراسات. هذه الممارسات بالرغم من استهجانها، ورميها في دائرة البدع و الخرافات، ولا تمت بصلة للدين الإسلامي، إلا أنها لازمت الحياة الدينية في المجتمعات وأصبحت تشكل تراثاً معرفياً لأفرادها.

يعتبر التفكك الأسري و جنوح الأحداث وحرمان الأطفال من الحاجات الأساسية، والمعاملة بالقسوة من العوامل التي تنتج فرداً ناقماً على الناس، يتخذ من التطرف وسيلة للثورة على مجتمعه وبيئته. ومن كان مرباه التعسف والقهر، سطاً به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث؛ وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك صارت له هذه عادة وخلقاً وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عيلاً على غيره".² وبذلك تستهدف القسوة سلب إرادة الشاب وجعله عاجزاً عن إلجام نفسه بنفسه، وتكون مشفوعة بمجموعة من الانفعالات والأحقاد العمياء، فلا تعرف القسوة حدوداً لها، ولا

¹ حلیم بركات ، المجتمع العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1984 ص 220.

² عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة ، بيروت، دار القلم، 1978، ص 540.

تحقق سوى العبودية و فقدان الإحساس بالمسؤولية وامتناع تبلور الشخصية، فالقسوة لا تعرف إلا القهر وقمع كل ما ينم عن الخروج على الخط المرسوم من جانب الأب، فتجعل الشاب بذلك غريباً عن المجتمع غير متكيف مع الحياة الاجتماعية، وأخيراً تنال القسوة، السخط والاحتقار من المجتمعات و الأفراد المحيطين.¹

- النظام التعليمي:

ساهمت المدرسة الحديثة بشكل فعال في سيرورة التغيير، فقد أصبحت تتدخل بشكل كبير في عملية التنشئة الاجتماعية و العملية التربوية بشكل عام ، نظرا للحيز الزمني الذي تحظى بها في حياة روادها، و في هذا السياق توفر المؤسسة التعليمية لروادها فضاء متميزا للتفاعل يتميز على الخصوص ببداية توسع للعلاقات الأفقية التي بدأت تعرف طريقها إلى شبكة العلاقات التي تربط ليس فقط الشباب فيما بينهم ، ولكن أيضا علاقات التلاميذ و الطلبة ببيئة التدريس و الأطر الإدارية، و تعمل المدرسة العمومية والمدرسة الخاصة بإيديولوجيات للمعلمين قد تكون مختلفة تنشر ثقافة مضادة أو مختلفة لما هو سائد في الوسط الاجتماعي، كما تساهم في خلق طبقة اجتماعية جديدة تصف نفسها بأنها المتعلمة أو المثقفة أو الواعية، و بذلك فهي تخلق مجتمعا داخل المجتمع، مجتمعا يؤسس لثقافة خاصة تنفي الفوارق وتؤمن بتكافؤ الفرص، في إطار الفضاء الحر للتفاعل و تبادل الخبرات و التجارب الذي توفره المدرسة للشباب بعيدا عن السلطة الأبوية، و هو الأمر الذي ما تدعمه الثقافة المدرسية المبنية في البرامج التربوية. هذا ما ينتج ثقافات فرعية و انقسامات فكرية حادة؛ فكر علماني يدعو إلى بناء الحياة على أساس دنيوي وغير مرتبط بالأصول الشرعية ولا بالتقاليد والعادات والموروثات الاجتماعية

1 يوسف ميخائيل أسعد، رعاية المراهقين ، القاهرة، مكتبة غريب، 1977، ص- ص 41-43 .

الأصيلة، هي من وجهة نظر أصحاب هذا الاتجاه عوائق في طريق التقدم والانطلاق نحو الحضارة. فكر ديني متطرف يعارض المدنية الحديثة وكل ما يتصل بالتقدم الحضاري، فهي من وجهة نظرهم ليست إلا فسادا في الأخلاق، وتفككا في الأسر وجمودا في العلاقات الاجتماعية، فهم يرون أن الحضارة تجعل الفرد يعيش لنفسه ملبيا لرغباتها متتكرا للآداب والفضيلة. ولذا فكل جانب يرفض فكر الآخر ويقاومه، وينظر إليه نظرة ريب وشك دون تمحيص وتقويم. ويعتبر نقص الثقافة الدينية في المناهج التعليمية من الابتدائي حتى الجامعة في معظم البلاد الإسلامية من العوامل الأساسية التي تنتج التطرف. فما يدرس في مراحل التعليم لا يؤهل شخصا مثقفا بثقافة مناسبة من الناحية الإسلامية، ليعرف ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهو الحد الأدنى للثقافة الإسلامية، وقد أدى ضعف المقررات الدينية، وعدم تلبيتها لحاجات الطلاب في توعيتهم في أمور دينهم وتنوير فكرهم بما يواجههم من تحديات في هذا العصر، فنقص الوعي الديني بوجه عام له الأثر السلبي على سلوك واتجاهات الأفراد واتجاهاتهم.

– المؤسسة الدينية والخطاب الديني:

يمثل المسجد المؤسسة الدينية الرسمية بالنسبة للمسلمين، و تتجلى إحدى مهامه الرئيسية في ترسيخ و تثبيت المعتقد الديني في الفرد، و كذا تربيته و تشكيل شخصيته من خلال إكسابه القيم و الاتجاهات، و مختلف المعارف الدينية ، الأخلاقية و الثقافية المتنوعة من الدين الإسلامي ، " و تظهر أهمية المعتقد الديني فيما يتركه من اثر في تحقيق

الوحدة و التفاهم و بث الطمأنينة و الاستقرار النفسي و تنظيم العلاقات الإنسانية على أسس من العدالة و التسامح و المحبة والإيمان".¹

فمن خلال المؤسسة الدينية يستطيع الفرد أن يكتسب أنماطا سلوكية ضرورية لبناء شخصيته الفردية و الاجتماعية، بالإضافة إلى اكتسابه القيم الروحية، كما تنمي فيه الوازع الداخلي الذي ينعكس على سلوكه. "إلا أن دور هذه المؤسسات في أداء وظائفها يتوقف على مجموعة من العوامل أهمها : مستوى و درجة الكفاية التوجيهية لدى القائمين على رعايتها التربوية معنويا و روحيا ، ثم قدرتهم في التأثير على عقول الأفراد وبث الإيمان القائم على التفكير و التحدي العقلي ، أيضا العمل على نبذ التعصب و التفرقة، وأخيرا العمل المستمر لإدراك المعطيات الحقيقية للواقع و إفرازاته المختلفة".² لقد أظهر الواقع الذي نعيشه، "بأنه بقدر ما تنتشر مظاهر اللامبالاة و التفسخ و الابتعاد عن القيم الروحية، بقدر ما تنتشر مظاهر الفساد و الانحراف و الجريمة و التفكك في المجتمع".³ فإذا كانت المؤسسات الأخرى تسعى إلى تطوير و تجديد مضمون و أهداف خطابها التربوي ، و ذلك للحد من مثل هذه الإفرازات ، فإن المساهمة التربوية للمؤسسة الدينية قد أصبحت تركز - زيادة على وظيفتها العادية و المتمثلة في توضيحها للأفراد علاقتهم بالخالق سبحانه وتعالى و طرق التقرب منه - على أن تبين للأفراد علاقتهم بالعالم الطبيعي و الاجتماعي ، و بكل ما يحيط بهم، و تمكينهم من معرفة أنفسهم و مسؤولياتهم و رسالتهم في الحياة، ومن ثمة مدهم بنوع من الراحة النفسية و الطمأنينة في

¹ محمد بوخلوف، بوزيد صحراوي وآخرون، واقع الأسرة الجزائرية و التحديات التربوية في الوسط الحضري ، ط01،

الجزائر، دار الملكية للطباعة والنشر والتوزيع و الإعلام، 2008، ص87

² نفس المرجع ، ص، ص 87، 88

³ عزت جرادات و آخرون، مدخل إلى التربية ، المكتبة التربوية المعاصرة ، دار الفكر للنشر و التوزيع ، عمان ، 1987 ، ص

مواجهة الأزمات و التعامل معها، و كيفية تقبل نتائجها، و التمييز لهم بين ما هو مرغوب فيه من السلوكيات، وما هو غير مرغوب فيه، بالإضافة إلى توجيهها لهم – أي الأفراد – نحو القيم المركزية و الثابتة ، كأسس ضرورية لتماسك المجتمع و استقراره.

اختلفت وجهات نظر المحللين و الدارسين لوضعية المؤسسة الدينية في العالم العربي و الإسلامي و حول الأدوار و المهام التي من المنتظر القيام بها في الحياة الاجتماعية، السياسية و الدينية، و انحصرت نظرهم في نقاط ثلاثة أساسية و هي: الأولى، أن المؤسسة الدينية تدين بالولاء للسلطة السياسية و تستخدمها كأداة في قمع الآراء المختلفة أو لإصدار الفتاوى المؤيدة لمواقفها السياسية خاصة منها المتبسة و المتعارضة مع قناعات المجتمع ، و الثانية ، فالمؤسسة الدينية تنتهج التطرف و تصدر الفتاوى ضد مخالفينها و معارضيها، ومنها حتى السلطة السياسية ، وغالبا ما تستخدم العنف و القتل و التهديد لفرض آرائها على المجتمع، أما الثالثة، فإن المؤسسة الدينية ترفض التدخل في شؤون السلطة الدنيوية ، وتعتمد لترك مسافة بينها و بين السلطة السياسية، وترى أن مهمتها دينية صرفة و لا يجب أن تتعدى ذلك.

يبقى المجتمع بمؤسساته وخاصة الدينية هي الموجهة للتغيير، و المواجهة لكل ما هو فكر متطرف، و يبقى انعكاس التربية لنظام المجتمع هو الأمر الواقع الذي يحكمها. فلا يمكن الفصل بين الحياتي الاجتماعي و الديني، وكل حديث عن الحياة، إنما هو مستمد من الشرع، وكل حديث عن الشرع، إنما يصب حتما في الحياة الاجتماعية.¹

¹ عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ، ط 02 ، الشركة الجزائرية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 ص 82

- الإعلام الديني والفاعلين الجدد :

أصبح الإعلام الديني يقوم بدور بارز في التحولات التي يشهدها نمط التدين، وقد بلغ حجم التأثير الذي تؤديه بعض وسائط هذا الإعلام في تغيير مسلكيات التدين مستوى كبيرا من التأثير، هذا الإعلام الديني يتسم بالتعدد والتنوع من حيث المرجعيات وحجم الحضور. وتشير الحالة الدينية في الجزائر إلى تعددية مصادر استقبال المعلومات الدينية، حيث توسع العرض الفضائي الديني مقابل الضعف الكمي والنوعي الذي يعرفه الإعلام الديني الجزائري، وقد توضح لنا هذه التعددية في وسائط الإعلام، وكذلك التفاوت في حجم حضور هذه الوسائط على مستوى ونوع التشيئة الدينية، وفي تأطير حركة التدين في الجزائر.

وقد أصبح تأثير الفضائيات الدينية المشرقية (الناس، اقرأ، الرسالة، المنار، صفا) (منهاج النبوة، البصيرة) متعاطما نتيجة سهولة التقاط هذه القنوات بواسطة أجهزة الاستقبال الرقمي، وتوفرها باللغة العربية مما يتيح التواصل مع المشاهدين، لكن هذه القنوات تطرح تحديات عديدة على الحقل الديني منها ما هو منهج صحيح ويمثل صحوة إسلامية حقيقية، ومنها ما هو إضعاف للوحدة الفقهاء، وإنتاج للتطرف الديني والغلو بتعدد الرؤى والتأويلات داخل الحقل الديني، وتحديات أخرى تطرحها القنوات الشيعية (المنار، الكوثر، الأنوار) التي تسعى إلى التبشير بالمذهب الشيعي على حساب المذهب السني، وأيضا القنوات التنصيرية وما يرتبط بها من خلخلة للعقيدة الدينية للجزائريين.

وبهذا يتبين لنا أن الفاعلين الدينيين الجدد أضحووا يشكلون رقما أساسيا في المعادلة الدينية، حيث أضيفوا إلى الأطراف التي تتنافس على اكتساب الموارد الرمزية والمادية داخل الحقل الديني، لكن سلطتهم لم تعد تركز على بركة وراثية أو مكتسبة، بل تستمد أسسها من سلطة الكلمة البليغة مضافا إليها سلطة الصورة، وهي تشكل في

محملها منظومات رمزية باعتبارها أدوات للمعرفة و التواصل تسعى إلى بناء نظام معرفي أي بناء الواقع. لم يعد الحقل الديني مقتصرًا على القوى المحلية التقليدية، فالدولة الحديثة منذ الاستقلال و إلى اليوم تعمل لضمان هيمنتها الشاملة على الحقل الديني، و لهذا فهي تسعى إلى إنتاج إسلام رسمي يدعم أطروحة النسق و يؤمن حضورها المتجدد ضمن تفاصيل المجتمع، و في هذا الصدد تسعى إلى ركوب أنماط التدين المسالم (السلفية) أو الشعبي (الطرقي الصوفي) و دمجها في نطاق الرسمي، لكن هذا لا يعني الاستفراد بالحقل الديني، الذي يعرف بروز فاعلين دينيين جدد يعبرون عن تدين مغاير.

جماعة الإخوان المسلمين، يعتبر هذا الفاعل الجديد الوافد من أهم الفاعلين الذين يطرحون أفكارًا مخالفا تمامًا لأنماط التدين الرسمي و الشعبي ، وقد برز هذا الفاعل بشكل لافت للنظر منذ سبعينيات القرن الماضي في أشكال مختلفة تباينت تسمياتها بين الباحثين بين من اعتبرها إسلامًا حركيًا أو سياسيًا أو تطرفًا أو إرهابًا أو غير ذلك من الاصطلاحات الموجودة في قواميس الباحثين، لكن يفضل هذا الفاعل أن ينعت نفسه باسم الصحوة الإسلامية. تعمل هذه الفعاليات على إنتاج خطاب ديني مناهض لمسلكتيات التدين الرسمي، حيث تراه تدينًا خاطئًا أو منافيًا لجوهر التوحيد الإسلامي، و هذا الخطاب وجد صده أيضًا لدى بعض الفعاليات في المؤسسات الدينية الرسمية، هذا ما أوجع الصراعات الفكرية وأذكى أشكال ومظاهر التطرف الديني.

وإلى جانب هذا، برزت مع دخول الألفية الجديدة ظاهرة جديدة من الدعاة المستقلين يدعون بالدعاة الجدد، و هؤلاء الدعاة الجدد يختلفون جذريًا عن الشيوخ التقليديين أو السلفيين، و يتميزون بمجموعة من الصفات فمن حيث الشكل يتميزون بالشكل العصري أو الملابس العصرية، بالإضافة إلى حداثة سنهم، و من حيث الخطاب، فهو يمثل قيم التوبة و الاستغفار و الإيجابية، و التعاون على الخير مع الغير، كما أنهم

يتجنبون الخوض في المسائل العقدية السياسية الشائكة و الحديث في القضايا الخلافية، و يسعون إلى التغيير من خلال التركيز على الفرد، و يندرجون تحت يافطة الدعاة الجدد، و يعتمد هؤلاء الإعلام الفضائي و الإنترنت وسيلة رئيسية للتواصل مع جمهورهم. لكن في الحقيقة تظهر خلفيتهم الفكرية والعقدية في وقت الأزمات والفتن.

الخلاصة :

يتسم التدين عند الأفراد بالتركيب و التعددية، و غالبا ما يرتبط الشعور لديهم بالرغبة في التعبير عن النفس و التصرف حسب التعاليم الدينية و الجمع بين ممارسات متناقضة كتأدية الصلاة، و قراءة الأبراج أو اللجوء إلى السحر و الشعوذة، وزيارة الأولياء للتوسل و قضاء الحاجات...، و ذلك على الرغم من الإدانة الرسمية لهذه الممارسات " المنحرفة ".

إن التناقض الواضح بين المرجعيات الثقافية و الأصول الدينية يؤدي عادة إلى التوتر و التعصب و التطرف، حيث يتم الانتقال من التدين الصحيح إلى التدين الاحتجاجي كملجأ رمزي ووسيلة لانتقاد النظام الاجتماعي و السياسي أو رفضه عبر العودة إلى الإسلام السياسي باعتباره ملاذا و تحديا للهياكل الاجتماعية و السياسية القائمة. فالإيمان بالعدالة الاجتماعية كقيمة غالبا ما يميز الزبائن المحتملين لهذه التنظيمات بين أوساط الشباب، و تعبر مساندة الشباب للحركات الإسلامية عن تنامي النزعات الفردية داخل الأسر والاعتماد على قيم دينية بديلة كشكل من أشكال الاحتجاج و الثورة على قيم الأبوية السائدة في المجتمع و الداعمة لاستمرار الاستبداد السياسي، و هكذا يظل وضع الشباب متأرجحا بين قيم الإسلام الشعبي، والرسمي و الحركي.

يرتبط التدين بشكل وثيق بالواقع الاجتماعي الذي تمارس فيه أنماط التدين، وطبيعة الحال فالتدين تعبير عن حاجة جماعية للتوافق حول منظومة معرفية معينة، ومادام أن مجتمع لم يستطع إحداث قطيعة واضحة في سيرورة تحوله نحو التحديث بين حقلي التقليد والحداثة، فكذلك التدين سيعرف نوعاً من الصراع بين الأنماط الموروثة في التدين، وحقيقة التدين، والمسلكيات الجديدة (الإسلام السياسي)، هذا ما يؤدي حتماً إلى التطرف الديني وخلق الأمن الاجتماعي.

ويرتبط التطرف دائماً بالقاعدة الاجتماعية التي ينبثق منها، كما أن المتطرف يجد نفسه دائماً على صواب، بينما يحكم عليه الآخرون بالخطأ، ومن ثم يميل إلى الانعزال تدريجياً عن الفكر السائد، وإلى تقبل كل ما يزيد من اقتناعه بالأفكار التي يدافع عنها وبالتالي غلق باب الحوار والتفاهم المتبادل والسعي بكل ما يملك من جهد وقوة إلى نشر فكره والبدء في تكوين قاعدة اجتماعية تسانده في نشره. وهؤلاء ينضمون إلى جماعات متطرفة أو دينية متشددة فكرياً وسلوكياً، كسبيل لتفريغ طاقاتهم واستثمار وقت فراغهم الطويل، نظراً لعدم توافر المناخ الذي يمكنهم من الهيمنة والسيادة كحاجات أساسية لهم، ويظهر ذلك في أعمال العنف والشغب والمظاهرات التي تؤثر على استقرار المجتمع. وهذا ما يعبر اعتماد علماء الاجتماع في تفسير ظاهرة التطرف على مقولات وتفسيرات متعددة، ومتنوعة منها ما هو نفسي ومنها ما هو اجتماعي، إلى جانب ما هو سياسي واقتصادي. وقد يكون العامل المسبب للتطرف ذاتياً يعود لخاصية الفرد نفسه وما تتميز به بنيته النفسية من خصائص وما تأثرت به من تنشئة اجتماعية وعلاقات أسرية وجماعة رفاق، فضلاً عن الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، بما يحمله من تناقض قيمي أو تناقض صارخ بين واقع الأفراد وتطلعاتهم وطموحاتهم وعدم وضوح الرؤية المستقبلية أمامهم.

القرآن الكريم و الأحاديث النبوية:

- ❖ سورة الحديد آية(26).
- ❖ صحيح الإمام مسلم، باب الإمارة، رقم الحديث (1829).
- ❖ صحيح الإمام البخاري، باب الأحكام، رقم الحديث (6718).
- ❖ سنن النسائي، كتاب المناسك باب التقاط الحصى، رقم الحديث(268).

قائمة المصادر والمراجع :

1. ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، طباعة ورثت عبد الرحمان بن محمد القاسم، الرياض، (ب. ت).
2. ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة ، بيروت، دار القلم، 1978.
3. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، 2000.
4. الجرجاني الشريف علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988.
5. حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، التطرف والإرهاب من منظور علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ط1، 1997.
6. حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1984.
7. حيدر إبراهيم علي، صورة الآخر المختلف فكريا سوسيولوجيا الاختلاف والتعصب، مجلة نقد العدد 10، 1996.
8. سمير أحمد نعيم ، محددات التطرف الديني في مصر ، مجلة المستقبل العربي ، القاهرة ، العدد (130) ، 1990.
9. عاطف أحمد فؤاد، الحرية والفكر السياسي المصري ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، 1988.
10. عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون ، ط 02 ، الشركة الجزائرية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981.
11. عزت جرادات و آخرون، مدخل إلى التربية ، المكتبة التربوية المعاصرة ، دار الفكر للنشر و التوزيع ، عمان، 1987.
12. الماوري، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1987.
13. محمد بومخلوف ، بوزيد صحراوي وآخرون، واقع الأسرة الجزائرية و التحديات التربوية في الوسط الحضري ، ط01، الجزائر، دار الملكية للطباعة و النشر والتوزيع و الإعلام ، 2008.
14. محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1418هـ.
15. مرعي توفيق، بلقيس أحمد.
16. منير البعلبكي ، المورد الميسر ، ط2 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1979.
17. يوسف ميخائيل أسعد، رعاية المراهقين ، القاهرة، مكتبة غريب، 1977.

*Claud Dubar, **la socialisation construction des identités sociales et professionnelles**, Armand Colin, Paris, 2^{ème} Edition, 1998*

*Mercier (paul) : **Histoire de l' Anthropologie**. Paris. Ed P.U.F.2eme ed, 1971*